من الأدب الغربي :

في مقبرة ريفية... !

لتوماس جراي بتصرف

للأستاذ محمد رجب البيومي

الظلام الرهيب يطغى على الكو ... ن كجيش يسد عرض الفضاء
حام فوق القبور يُرخي سدولاً ... حجبتها فما تلوح لرائي
حيث أصحابها يتيهون في النو ... م سكارى كشاربي الصهباء
سئموا ظلمة القبور فخلّت ... ظلمة الليل فوقها كالوباء
لا يرون الضياء يبدو مع الشمـ ... ـس وضيئاً كطلعة الحسناء
لا ولا البدو حين يشرق في الأ ... فق على الكون ناثراً عن ذُكاء
يوقظ الديك كل غافٍ على الأر ... ض وهم مثل الصخرة الصمّاء
لا حنين الناعورة الحلو يشجيهـ ... ـم وإن هزّ مسمع الجوزاء
لا نسيمُ المراوح العذبُ غادٍ ... حين يحمى الهجير في الرمضاء
لا ولا الموقد الذي يسرّي ... عنهمو ما جناه برد الشتاء
كل هذا قد شاهدوه عيانا ... حين كانوا في عالم الأحياء

هذه الأرض منذ عهد قريب ... لم تكن غير بقعة جرداء
فشى القوم بالمحاريث والفأ ... س يشقّونها بكل اعتناء
يبذرون النبات فيها جنيناً ... ثم يعطونه شعى الغذاء
فإذا الأرض بعد وقت يسير ... تتراءى كجنةٍ فيحاء
ويحها لم تَضُنّ جميلاً فألقتْ ... أهلها في قرارة الظلماء
ثم عادت فبدّدتهمْ جميعاً ... لم يكن عندها أقل الوفاء

ربّ شيخ قضى الحياة مع الر ... يف إلى أن مضى على الحدباء
كان جمّ الذكاء لكن أتى الحقـ ... ـلُ على ما في رأسه من ذكاء
آه لو كان قد تعلّم حتى ... يرفع العلم قدره في السماء
علّه مثل شكسبير نبوغاً ... أو كلتون سيد الشعراء
فهو كالدرة الثمينة ضاعتْ ... في القرار السحيق تحت الماء
أو كزهر نما بعيداً عن النا ... س فولّى عبيره في الهواء
قُتل الحظ كيف حارب ذا العقـ ... ـل وأرخى العنان للأغبياء

ها هو المضجع الوثير مهيّا ... للذي يستريح بعد العناء
هو كالواحة الخصيبة يسمى ... نحوها من يضيق بالصحراء
حلّ فيه جماعة ما استفادوا ... من لذيذ الحياة غير الفناء
لا الوسام الأنيق يسطع في الصـ ... ـدر جميلا كبسمة العذراء
لا النياشين ضاحكاتٌ عليهم ... كأزاهير روضةٍ غنّاء
ربّ ذي رُتبةٍ أحالته وحشاً ... مجرماً لا يحل سفك الدماء
كان من قبلها ملاكا وديعاً ... فغدا مثل حيّة رقطاء

خبّروني ماذا يلوح لعيني ... فوق تلك المقابر الخرساء
كل قبر عليه لوحٌ عريض ... مُثقلٌ بالنعوت والأسماء
ينظر الزائر المحبّ إليه ... ثم يبكي على الحبيب النّائي
كم تكون أنتَ تزور ضريحاً ... قد ثوى فيه صفوة الأبناء
وصديق يصيح أين صديقي ... كيف أرنو لوجهه الوضّاء
يقرأ اللوحَ ما على اللوح إلا ... جمراتٌ تشب في الأحشاء

ليت شعري ماذا سيكتب عني ... حين أغفو في باطن الغبراء
سيقولون عاشق ضيّع العمر ... وراء الطبيعة الحسناء
يجتلي حسنها الأنيق طروباً ... حيث تبدو في بهجةٍ ورواء
في ابتسام الصباح إذ يتجلى ... في احمرار الأصيل عند المساء
في شطوط البحار والماء ساج ... في المروج الفسيحة الخضراء
تخذ الكون مسرحاً يتسلّى ... فيه عمّا به من الأدواء
لا ينال القوت الضروريّ إلا ... بشقاء ما بعدَهُ من شقاء
قطع العمر في الحياة فقيراً ... مثل باقي أفرادها الفقراء
يبذل الدمع للمساكين حتى ... لم تعدْ في عينيه قطرة ماء
لم تُنله الحياة غير صديق ... كان في ليلها كبدر السّماء
كان ريحانة الفؤاد ولكن ... ويلنا قد مضى لدار البقاء

محمد رجب البيومي